

جاكولين روس وتحولات الخطاب الأخلاقي لما بعد الحداثة

*Jacqueline Russ and the transformations of postmodern moral discourse*محمد بوشافة¹، جوهري بلحنافي²¹ جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)، مخبر الدراسات الفلسفية وقضايا الإنسان والمجتمع في الجزائر

(جامعة تيارت)، bouchafa.mohamed@univ-mascara.dz

² جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)، djouher.belhanafi@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2022/10/07 تاريخ القبول: 2023/04/04 تاريخ النشر: 2023/05/04

ملخص:

تركز الدراسة على نظرة جاكولين روس للتحولات الحاسمة التي طالت المبحث الأخلاقي جراء ما أفرزته التطورات العلمية والتقنية من تغييرات باتت تهدد مصير الإنسان وإنسانيته؛ كرامته وقيمه الأخلاقية، تحولات من حيث الدلالة ومختلف العوامل التي ساهمت في تشكل الأخلاق المعاصرة، من ذبوع الفلسفة العدمية، الى تلك الفردية النرجسية السلبية، الى ظهور تقانات جديدة تمارس العبث حتى على قداسة الجسم الإنساني، والتي أفضت الى واقع مرير يعبر بحق عن أزمة ينبغي بعد رصد تشكلاتها الجذوح الى الأخلاق وما بعد الأخلاق، وفق مبادئ ثلاث، أولها كما ترى روس أنموذج الفاعل الحر المستقل رغم ما لحقه من تقهقر، ثم تجدد مجموعة من المبادئ التقليدية القديمة التي تلقفتها الفلسفة المعاصرة وأعادت بعثها وفق صياغة تواكب الراهن (الدين، الجهد والقوة، الواقع، المسؤولية... الخ)، لتختتم في الأخير بمبدأ جديد "النشاط التواصل" باعتباره حسبا مقوما أصيلا للأخلاق المعاصرة، مبادئ تتشكل على إثرها نظريات عصرنا الأخلاقية التي تنشأ الكونية، تجيب عن أسئلة الحاضر وترسم الطريق الى المستقبل.

كلمات مفتاحية: الأخلاق، العدمية، الفردية، الكرامة الإنسانية، جاكولين روس.

Abstract:

The study focuses on Jacqueline Russ' view of the decisive transformations that affected the ethical question as a result of the changes brought about by scientific and technical developments that threaten the fate of man and his humanity. His dignity and moral values, transformations in terms of significance and various factors that contributed to the formation of contemporary morals, from the spread of nihilistic philosophy, to that negative narcissistic individuality, to the emergence of new technologies that practice absurdity even on the sanctity of the human body, which led to a bitter reality that truly expresses a crisis that should After observing its formation, the delinquency towards morals and beyond morals. according to three principles, the first of which, as Ross sees, is the model of the independent free agent, despite the regression it has

suffered, and then a set of old traditional principles that have been seized by contemporary philosophy are renewed and resurrected according to a formulation that keeps pace with the present (religion, effort and strength, reality, responsibility ... etc.), To conclude in the end with a new principle of "communicative activity", considering it an authentic component of contemporary morals, principles that form the moral theories of our time that seek universality, answer questions of the present and chart the way to the future.

Keywords: Ethics, Nihilism, Individualism, Human Dignity, Jacqueline Russ.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

بات جلياً أنَّ الحضارة الغربية المعاصرة تعاني من اختلالات عميقة في مجال الأخلاق والقيم، منبع هذه الاختلالات هو تزعزع المعايير الواجب تحقيقها في كل فكر وسلوك إنساني؛ ذلك أنَّ البشرية تغرق في الالايقين الذي خلفه استفحال النزعة الفردية الراضية لكبرى الإيديولوجيات والمنظومات الحداثية، تحولات اجتماعية وثقافية كبيرة أضحت البشرية في خضمها تعيش في عصر مظلم وواقع ممزق، تزعزعت أسسه وفُقدت بوصلته الأخلاقية، فلم نعد نعرف أسسنا ومعاييرنا الأخلاقية ولا ما يساعدنا على التعايش والبقاء، وعليه صار إلزاماً على الفلسفة في شقها الأخلاقي بالتحديد؛ مواكبتها بالتأسيس لقوة تنظيرية أخلاقية تساعد الإنسان على مجابهة هذه التحديات التي تفاقمت شدتها بفعل التطور السافر للعلم والتقنية الذي مسَّ إنسانيته وهدد مصيره؛ أخلاق ترصد لحظة التحول العميق للنماذج الأخلاقية السالفة؛ تكاتفها دون أن تنتصل منها.

في خضم هذه التحولات وما قابلها من تراجع في منظومة القيم الإنسانية تقدم جاكين روس قراءة مُحصّصة للفكر الأخلاقي المعاصر، بغية مرافقة الإنسان المعاصر لمكاشفة أزماته المتلاحقة ومغالبتها، بالتأسيس لأخلاق تتجاوز النظرة الفردية النرجسية القائمة على غريزة حفظ البقاء؛ أخلاق تنشد البقاء الأفضل والمصير الذي لا تفرضه التقنية وفق مطلب الكرامة الإنسانية الذي يتيح تحقيق إنسانية الإنسان على أكمل وجه، حيث تشخص الواقع، وتحلل ما طال الأخلاق من تحولات من حيث المفهوم والمبادئ والأسس.

فماهي نظرة جاكين روس لتحولات الفكر الأخلاقي المعاصر؟

2. حول مفهوم الأخلاق النظرية والأخلاق العملية:

تنطلق جاكسين روس* في هذا الغرض من تساؤل مفاده: لماذا نقول "الأخلاق النظرية" لا "الأخلاق" حيث ترى أنَّ الاشتقاق اللغوي للكلمتين يُحيل إلى معنى متقارب؛ إلى فكرة العادات الأخلاقية في المصطلح الإغريقي الأصل *La éthé*، وفكرة الأعراف التي يعينها المصطلح اللاتيني *Morale*، إلا أنَّ هذا التقارب لا ينفي إمكانية التمييز بينهما، إن الأخلاق النظرية تُفكك قواعد السلوك وتحلل البنى سعياً إلى أسس الإلزام، إنها ذات بعد نظري يختص بثقافة "ما وراء الأخلاق"، حيث تعقب الأخلاق ذات الصبغة العملية، فالأخلاق بما هي علم يُعنى بتشكيل قواعد السلوك تنقسم إلى إثنيين؛ أخلاق نظرية وهي علم معياري، وأخلاق عملية بمثابة تطبيقات لهذا العلم المعياري وتسمى إجمالاً على تنوعها بأداب السلوك⁽¹⁾.

يطرح هذا التمييز بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية في عصر ما بعد الحداثة؛ مفارقة دفعت جاكسين روس إلى القول باعتماد الدلالة المزدوجة للمفهوم "أخلاق نظرية عملية"، إذ كيف يمكننا القول على أخلاق نظرية تُعنى بالتجارة مثلاً؟ كيف نؤسس أخلاق نظرية لأخلاقيات عملية؟ إنها الدلالة المزدوجة التي تميز الأخلاق المعاصرة كما ترى روس "فهي نظرية عقلانية من جهة وأخلاق تطبيقية (أخلاق نظرية حياتية) من جهة أخرى، هذا التحول في الدلالة يحيل إلى تحولات ميدان الحداثة، ومهمة الفكر الأخلاقي المعاصر دراسة هاته التحولات إلى الأخلاق النظرية"².

فقد فرض تكاثر مجالات الأخلاق العملية وما أسفره النمو التقني من عولمة المجتمع؛ العودة إلى الأخلاق النظرية ذات الطابع الكلي العام "ذلك أن ليس في وسع أية أخلاق خاصة ناجمة عن جماعة اجتماعية محددة أن تنظم مسائل تمثل تلك السعة، وأن تجيب عن مشكلة عولمة الاقتصاد والتقنية"⁽³⁾، وعليه فالأخلاق المنشودة هي أخلاق كونية تستهدف الجميع.

لم تعد الأخلاق مجرد دراسة للعادات والشمائل البشرية فقط، إنما أيضاً دراسة لقواعد السلوك تتجاوز المعنى التقليدي الذي يبحث عن كيف يحيا الناس في الواقع إلى معنى أهم وهو كيف ينبغي أن يحييوا، فما يشهده الراهن من إقبال منقطع النظر على تقنين الممارسات الأخلاقية في جل مجالات الحياة، يثير مفارقة أساسية؛ فالأخلاق أضحت ضرورية وإشكالية معاً؛ مفارقة تنم عن ثغرة بين الطلب الأخلاقي النظري الذي يستمد أسسه من أخلاق عصر الحداثة بعدما شهد هذا العصر من تلاشي الثوابت وخلخلة الأسس وزعزعتها، وبين تكييف تلك الأسس وفق ما يقتضيه راهن العصر من توجه إلى العملي التطبيقي، حيث تقول روس "إنَّ الهوة بين الطلب الأخلاقي النظري الملح والعمل التأسيسي

الحقيقي لهذه الأخلاق هي المفارقة⁽⁴⁾، ومنه فالأخلاق النظرية التي ينبغي أن تؤخذ بالدراسة هي ذات دلالة مزدوجة لا يمكن إهمال وجهها النظري وقطع الصلة مع وجهها التطبيقي ولا العكس. ولقد سعت جاكين روس إلى دراسة هاته التحولات الطارئة على النظرية المعقلنة للخير والشر من جراء الطفرات الضخمة التي ظهرت في الساحة المعاصرة من خلال إبراز العوامل التي زامنت وساهمت في ولادة الأخلاق النظرية المعاصرة.

3. عوامل نشأة الفكر الأخلاقي المعاصر:

إن محاولات إدراك التغير الحادث في طبيعة الأسئلة الأخلاقية والتحليلات التي قُدمت لها يمر حتما عبر الأخذ بعين الاعتبار عوامل عديدة منها: إفلاس المعنى، تهافت الإيديولوجيات والطوباويات، انتصار الفردية في شقها السلبي وأخيرا ظهور تقانات جديدة محدثة زيادات قاسية في قدرات الإنسان أدت إلى عواقب وخيمة حتى على من أوجدها⁽⁵⁾.

1.3 إفلاس المعنى والفراغ الأخلاقي النظري:

تعاني مجتمعات ما بعد الحداثة من غياب ما يشكل معيار صحة السلوكيات والأفعال، ما يعني صدق النظريات المطروحة حول الفراغ الرهيب والخواء من الأسس المعتادة الذي تأباه الطبيعة والنفس البشرية، أفكار مفككة ومفتتة عديدة عبّر عنها نيتشه بالعدمية حيث الفساد وضياح المعنى وخواء الأفكار وسقوط القيم القديمة، ما شكل انتفاضة وصحوة نحو الأخلاق النظرية المعاصرة على قصد ملئ هذا الانسياب الذي لحق مجالات عديدة مُشكِلاً أزمةً لحقت الفلسفة والسياسة والحقوق ومجالات أخرى عديدة، واقع معقد اختفت منه الثوابت وحل محلها عدم الاستقرار الدائم، يقول فيه إدغار موران: "الإلزام لم يعد يأتي من الله ولا من الدين ولا من الدولة ولا من المجتمع، وإنما من الفرد ذاته"⁽⁶⁾ ذلك هو التعقيد الأخلاقي الذي أصبح يميز مجتمعات ما بعد الحداثة والذي ضاعف حجم المسؤولية على الأفراد، الذين يعانون أصلا من انعدام ما يعطي شرعية لأفكارهم وأفعالهم، هي "العدمية" التي تنبأ بها نيتشه، والتي تعني حسب لالاند المذهب الذي يقول بعدم وجود أي شيء مطلق، مذهب ينفي وجود أي حقيقة أخلاقية، اعتقاد بأن كافة القيم والأخلاق لا أساس أو قاعدة لها⁽⁷⁾.

رغم أن العالم في فضاء العدمية لا يساوي شيء ولا شيء له قيمة فيه، إلا أنها وضعت في مقابل هذا العالم المرفوض عالما جديدا فيه كل ما أُفتقد من خصائص، فمن خلال التشخيص الدقيق للفكر الأوروبي المأزوم الذي طردت منه الحداثة الإله والآخر والمعنى وكل أساس فكري أو قدرة على التجديد،

يتشكل الإحساس بالخطر، ما يدفع الى "إعادة النظر من جديد في الوعي الأوروبي كله الذي لبس الحداد على أموره اليقينية القديمة"⁽⁸⁾، "فقد انتهى الأمر بموت الإله الى نصر الإنسان الذي أصبح معينا لكل القيم، ألم يطمح إعلان حقوق الإنسان الذي نادت به الأمم المتحدة عام 1948 الى أن يصبح عالميا؟ ألا يركز فقط على حقوق الإنسان الطبيعية كالحق في الحياة والحق في الحرية والملكية؟ ألا يعتبر هذا الإعلان منبعاً ومصدراً لقيم الإنسانية الأساسية التي من المفروض أن يكون عقدها الأساسي؟"⁽⁹⁾، هو أفول يسر الوصول الى كل الثوابت.

2.3 غياب المنظومات الكبرى وموت الإيديولوجيات:

يتميز هذا العالم بموت آخر على غرار موت الإله الذي انتهت إليه عدمية نيتشه، موت طال الإيديولوجيات والرؤى والأسس التي كانت الإنسانية ترتكز عليها، يعدد جان فرانسوا ليوتار بعضاً من تلك السرديات الكبرى التي أوجدها التنوير والحداثة، حيث يعتبر فكرة التحرر و الانعتاق بمفهومها الكانطي إحداها، على غرار الماركسية وما تحمله من أهداف رامية إلى بناء مجتمع لا طبقي يتساوى فيه الجميع، والفلسفة الهيكلية من خلال فكرة جدل الروح وما يسودها من تصور أن التاريخ البشري يسير وفق غاية عقلية، ثم الرأسمالية والتقدم التدريجي الكارثي للعمل الذي شكّل مصدراً أساسياً للقيمة الإغترابية، يرفض ليوتار هاته "الأنساق الفكرية المغلقة" الفاقدة المصادقية التي تستمد أصولها من الأساطير الأولى والتي ظلت محصورة داخل الدين والفلسفة والإيديولوجيا، فقد كان هدفها دوماً تبرير عمل المؤسسات والممارسات الاجتماعية والتشريعية والسياسية وحتى الأخلاقية؛ وإضفاء المشروعية للتجاوزات التي ميّزت الحداثة، فقد نكثت التقنية بوعودها للإنسان وآماله بالانتصار له على حساب الطبيعة وتمكينه من السيطرة عليها، الأمر الذي حدث خلافاً تماماً حيث وجد الإنسان نفسه يعاني من اضطرابات عديدة نتيجة لا مصادقية هاته السرديات في ظل التطور الرهيب الذي شهدته التقنيات والتكنولوجيا إبان الحرب العالمية الثانية، والتي كشفت زيغها وبطلان ادعاءاتها، لذلك يدعو ليوتار إلى ضرورة العيش من دونها، ما يتيح النقلة إلى ما بعد الحداثة التي تتطلب تنظيماً جديداً لمبادئ أخرى تتجاوز تلك التي ميزت حقول الحداثة⁽¹⁰⁾.

من أزمة الحكايات الكبرى هاته التي تعبر عن صورة شاملة للعدمية تنقشع أسس الأخلاق النظرية القديمة، بحثاً عن حضارة جديدة ترفض الكلية والشمولية وتدعو إلى الاختلاف والتعدد وترفض القواعد العامة التي تجعل الفكر الإنساني مسجوناً في أفكارها الشاملة، لكن في ظل هذا اللاشيء، بماذا نعمل إذن

ووفق أي أساس؟ ذلك هو مدعى الابتكار الذي نحن مرغمون عليه رفضا للخواء وضمانا للبقاء، عبر صياغة معاصرة للأخلاق النظرية.

3.3 الفردية:

تصبح الأمور إذن غير ذات أساس، تغيب الشموليات والأفكار الكلية التي عكفت المنظومات المنحلة على تداولها والعمل وفقها فيلجأ الفرد بالضرورة إلى ذاته ليتخذها قيمة عليا، فالمجتمعات في حالة تشكل جديد من البنية الكلية وسيادة الجماعة إلى شكل فرداني، تلك هي الفردية التي سيطرت على الواقع.

يحيل اشتقاقها اللغوي إلى كلمة الفرد الذي يعني الجزء الذي لا يتجزأ وبالتالي فهي تقابل مفهوم الجمعنة، تتعدد تعريفاتها إلى الحد الذي يمكن القول فيه عن استحالة إيجاد تعريف جامع مانع لها، لذلك سننبع ما حدّدته جاكين روس لمعناها إجمالاً على أنها "موقف يتيح للفرد أن يتميز عن الجماعة"⁽¹¹⁾ فهي إذن "الحالة التي يكون عليها الفرد كيانا مستقلا ومتفردا عن الجماعات التي ينتمي إليها وقادرا على اتخاذ قراراته استنادا إلى إمكانياته الخاصة وقدراته المستقلة"⁽¹²⁾.

تُميز جاكين روس بين شكلين من الفردية المعاصرة، تشيد بالأولى لكونها فتية تعزز بالفرد مقابل كل السلطات، تعترف بقدرته - أي الفرد - على تغيير المجتمع إلى الأفضل، هاته الفردية القديمة التي كانت دوما في صراع مع دعاة حفظ المجتمع، مناضلة لإعلاء قيمة الفرد على حساب المؤسسات والهيكل باعتباره الغاية التي وُجدت من أجلها الدولة عموما، فهي تتأسس بناءً على حق الفرد أمام المجتمع الذي يتوجب عليه مساعدته في تحقيق أهدافه المتمثلة أساسا وإجمالاً في الرفاهية، وبذلك فقد امتازت بالإرادة والحرية والقوة التي تبعث على التقدم والغزو، أما الفردية المعاصرة فتختلف اختلافا جذريا عن سابقتها، فلم تعد تعني تلك الإرادة والقوة المناضلة المناهضة لكل ما يعيق أهدافها، فقد تخلت عن فهمها للأمور وطموحاتها في بناء مجتمع متقدم لصالح نزواتها وأنانياتها؛ متمردة على كل قاعدة أو إلزام؛ تهدف إلى أكبر قدر من المنع النرجسية الإستمتاعية، يعبر عنها ليبوفتسكي بالقول: "إنَّ الفردانية السابقة التي كانت إنضباطية ومناضلة وبطولية وواعظة أخلاقية، قد تَمَّ تنحيها جانبا من طرف فردانية جديدة وفق الطلب تتميز بكونها مُتَّعِية ونفسية وتجعل من التحقق الذاتي أهم غاية في الحياة"⁽¹³⁾.

هذا التحول إلى الضفة السلبية من النزعة الفردية والذي يحمل شئى علامات الأزمة يبعث الشك من جديد حول ما يمكن أن يضبط أفعال وممارسات الأفراد، خصوصا في ظل الغياب المشهود

للمرجعيات والأسس؛ ولكل سلطة خارجة عن هذا العالم، كيف السبيل إلى صياغة ما يلقي قُبولا كُليا من أفراد "مفتتين" ينحو كل واحد على حدى إلى ما يرضي نزواته ورغباته النرجسية فقط؟ ذلك هو رهان الفكر الأخلاقي الجديد.

4.3 التطور العلمي التكنولوجي:

عرف العالم انقلابات متسارعة غيّرت العصر الجديد في مجال العلم والتقنية فقد بثت التقانات الجديدة الرعب في النفس البشرية نظرا للكم الهائل من الأخطار التي تسفر عنها، فقد حادت التكنولوجيا عن أهدافها الرئيسية المتعلقة أساسا بخدمة الإنسان ومساندته على التغلب على مشاكله ونقائصه، إنَّ العلم الذي عزَّز طموحات البشر بالبقاء والخلود والكمال وأثار إعجابهم حين سائر رغباتهم وأظهر قدرته على التغلب على مختلف الأمراض سرعان ما يثير سخطهم، تنقلب تلك الآمال إلى مخاوف وتزداد حين ينزع ذلك التطور إلى المساس بالجسم الإنساني ذلك الكيان المقدس الذي تجرأت عليه التقنية بالتجريب والتغيير والزيادة الهائلة في قدراته، كما لم يتجرأ عليه شيء من قبل، فقد أصبح العلم بما يتيح التجريب من مساس بالجسم الإنساني محدثا عليه تغيرات جوهرية خطيرة، يهدد الإنسان في أجمع إنسانيته.

في هذا الصدد يبدي هيدجر تخوفه الكبير متسائلا في إطار نقده للتكنولوجيا حول من يستطيع التنبؤ بما ستكون عليه الثمار النهائية للبحوث البيولوجية مثلا؟ حيث يُخشى ونحن نسعى إلى أن نكون بشرا أكثر سعادة أن نُحوّل أنفسنا إلى وحوش، إنَّ التكنولوجيا تُشرع ميثاقا لانتحارنا الجماعي، فهي لم تعد تعني فقط مجموعة الوسائل أو وسائط الإنتاج، إنما أصبحت تشير إلى ميولات ذهنية وعالم حقيقي يُنم عن فراغ أنطولوجي، حوَّلت الإنسان إلى مكنة تُسهّل السيطرة عليه جينيا، فالإراث الجيني لم يعد في منأى عن البرمجة، نظرة فقط إلى العبث الجماعي الذي يطال الجميع نتاج التدهور البيئي والإبادة النووية والهندسية الوراثية بمختلف أنواعها تؤكد حجم الخطر الذي يهدد الكوكب جرّاءها⁽¹⁴⁾، يشاطر بول ريكور هذه النظرة التشاؤمية وهذه المخاوف من التكنولوجيا التي جرّدت الإنسان من كل ما يمت بصلة إلى الإنسانية من خلال ما تتيحه من تحكم وسيطرة على كينونته وإنسانيته، باختصار نحن كما قال نيتشه "في عصر حضارة مُهدّدة بالتدمير من طرف وسائلها هي نفسها"⁽¹⁵⁾.

مع إعلان التقنية عن موت الإنسان في بعده الروحي والقيمي ومختلف الظواهر السابقة من عدمية وفراغ روحي وغياب أيديولوجي معلنة إفلاس الأخلاق التقليدية القديمة وعدم مقدرتها على مجازاة هذا التطور وهاته الوضعيات الحرجة، كان لزاما على الفلسفة أن تتفاعل كما سابق عهدها مع الأزمات،

فقد أجبرت هاته الأوضاع على وضع ضوابط تحد من التجاوزات التي تمس بكرامة الإنسان وتعمل على تدمير البيئة من خلال ابتكار أخلاق نظرية جديدة تمزج بين التفكير والفعل، وفق مبادئ يستند إليها الفكر الأخلاقي لفلسفات العصر الراهن، فما هي هاته المبادئ والنماذج التي ارتكز عليها؟

4. مبادئ ومرتكزات الفكر الأخلاقي المعاصر:

انطلاقاً من أنه لا فكر من لا شيء، ذلك أن سمة أي فكر إعمال العقل في الأمور المحصلة للوصول إلى أمر جديد، تستخلص جاكين روس في إطار دراستها لسيرورة الفكر الأخلاقي ثلاث مبادئ رئيسية ينهل منها الفكر الأخلاقي المعاصر.

1.4 الفاعل الحر المستقل:

أحد أهم المبادئ التي تنظم الفكر الفلسفي عموماً هو هذا النموذج القديم الذي يسعى إلى تحديد الغايات الإنسانية منفرداً بتحديد أفعاله دون الرجوع إلى أي سلطة خارجية، حيث يُعرف الفاعل من خلال الفعل الذي يقتضي توافر الإرادة والقصد والقدرة والعزيمة ثم يُستتبع بالحرية والمسؤولية، هذا الفعل يستوجب فاعلاً تتوافر فيه الصفات السابقة حيث يكون مستقلاً حين يمتلك القدرة على الانفراد بأفعاله دون تدخل خارجي، متمتعاً بحرية اتخاذ القرار وتحمل مسؤولية أفعاله، يتصرف وفق إرادة حرة وواعية، وقصدية جامعة بين الإرادة والحرية والمسؤولية، والتي من خلالها يتميز فعله الإنساني عن غيره من الصناعي أو الحيواني⁽¹⁶⁾.

نجد هذا المبدأ في عموم الأخلاق الحديثة خاصة عند ديكارت و كانط وسارتر، فمن الإنسان الذي يتألف حسب ديكارت من "آلة" حياتية بيولوجية ومن جوهر مفكر؛ منفعل (الأهواء والإحساسات)، وفاعل من حيث كونه قدرة لا متناهية على إعطاء أو رفض تحببنا؛ تتشكل الأخلاق باعتبارها فن استخدام "الأهواء" من حب وحقد وكره وإعجاب لتدعيم السلوكات الملائمة للفرد، تركز الأخلاق إلى التأثير على الأهواء عن طريق الجسد أو التأثير عليها عن طريق الإرادة، هذه الممارسة الحرة للإرادة التي تتطلب العقل كشرط أساسي باعتباره وعي الفرد بما يشغله في الكل، وعاطفة حب وطاعة عقلانية مستمرة للنظام الإلهي هي مصدر الكرم الذي يقوم على هجر المصلحة الشخصية والخضوع الفعال "للعالية الكاملة"⁽¹⁷⁾.

ثم مع كانط حيث لا يُستمد الفعل الأخلاقي إلا من إرادتنا وكياننا، فالإرادة تهب نفسها قانونها، وهي غاية في حد ذاتها وليست وسيلة لتحقيق منفعة أو مصلحة ذاتية، تُشكل دعامة أساسية للعقل الذي

انطلاقاً من حكمه المحض تكون أعمالنا خيرة، وعلى هذا الأساس يُعتبر الفرد مواطناً ومملكاً في مملكة العقلاء، بما يمتلكه من إرادة حرة مسؤولة.

مع الوجودية أيضاً؛ حيث تنطلق أساساً من إبراز قيمة الوجود الفردي، فالوجود لا يتحقق إلا بتمتع الفرد بالحرية والاختيار، والتي انطلاقاً منها يكون مسؤولاً مسؤولية مطلقة على أفعاله، يفرض سارتر تبرير الأفعال بحجة أن هناك ظروف تُحتملها على الفرد، فالوجودية تُعتبر الحياة الإنسانية حرية و اختيار شخصي وفق إرادة حرة، وما دون ذلك من تخلي عن هذا الحق فهو خيانة للوجود الإنساني، من هنا نستخلص فكرها الرامي إلى إعلاء مبدأ الفاعل الحر المستقل⁽¹⁸⁾.

إنّ هذا المبدأ الذي ظل لفترات طويلة يشع بالحرية والمسؤولية والباعث على الإرادة القوية، المبتكر للقيم، سيكون عرضة للانحطاط والتقهقر والانحلال تحت تأثير الفكر البنيوي الذي سيخلف الوجودية ويقوم على أنقاضها، بالتوجه إلى سيادة النسق وأفضلية البنية على الذات الذي تفرضه المنظومة البنيوية، حيث تُقدّم القواعد والمنظومات والعلاقات نظاماً حقيقياً يعوّض المعنى والمعقولة التي يهبها الفاعل الواعي، هذا التغير النمطي الجذري يُشكل مقوماً رئيساً للأخلاق النظرية المعاصرة⁽¹⁹⁾.

أعرب ميشال فوكو عن نظريته للذات في موقفين، يتجلى الموقف الأول من مرحلته الأولى التي يحدد فيها الذات ذاتاً خاضعة ومُهيمنة عليها لا تتعدى كونها موضوعاً لشئ الأساليب والتقنيات، ففي كتابه "الكلمات والأشياء" يطرح عبارته الشهيرة موت الإنسان، "أنّ ما يعلن في أيامنا الحاضرة ويشير إلى نيتشه من بعيد إلى نقطة التحول، فليس غياب الله أو موته هو المؤكد بقدر ما هي نهاية الإنسان... فالإنسان اختراع تُظهر أركيولوجياً فكرنا بسهولة حداثة عهده، وربما نهايته القريبة"⁽²⁰⁾، فقد أصبح الإنسان إذن محدّداً ببنيات ولم يعد فاعلاً صانعاً، وما موت الإنسان إلا موت الفاعل؛ الأخلاقي بالبداية كما ترى روس. أما الموقف الثاني فتظهر فيه الذات في درسه "تأويل الذات"؛ ذاتاً سيدة وحرّة، من خلال اهتمامه بالذات أي الذات وبما يتعلق بها من ممارسات يطلق عليها "ثقافة النفس"، ومن خلال دعوته الصريحة للعودة إلى الأخلاق اليونانية والرومانية عبر مختلف مراحلها التي تتميز بحسبه بكثافة اهتمام الفرد بذاته بالتوجه إلى ذاته دون الموضوعات الخارجة عنها وبما تمارسه من قواعد التحكم في الذات والسيطرة عليها⁽²¹⁾.

رغم ما يقدمه فوكو من نقد للذات التي حُددت مع ديكارت وكانط وسارتر على أنها وعي الذات بذاتها، ورغم فكرة البنيوية موت الإنسان الفاعل الأخلاقي، إلا أن مجرد تمحور فلسفته إجمالاً على

دراسة الذات أي الفاعل بكونه فاعلا أخلاقيا لسلوكه تأثرا بفلسفات اليونان والرومان، تعيد للذات هيبتها وتعكس مكانتها في الفكر الأخلاقي.

تعرض إذن هذا المبدأ بعد استعلاء وهيمنة طويلة إلى ما قد يفيد بانحلاله وزواله بفعل البنيوية، لكن وبفعل هذا التدارس الفوكوي وأسماء أخرى كدولوز وباتاي وبلانشو ولو كانت دراسة عكسية تطرد الفاعل من عالمنا إلا أنه لا يسعنا أمام هذا الاهتمام إلا إعادة النظر في هذا الحكم، ذلك أن مبدأ الفاعل لا يزول عن الأخلاق المعاصرة وإن سلّمنا جدلا بما لحقه من تراجع⁽²²⁾.

2.4 إرث المبادئ والأسس؛ مبادئ تقليدية قديمة تلففتها الفلسفة المعاصرة:

يظهر الفكر الأخلاقي المعاصر مقيما لجسور التواصل حريصا أشد الحرص على إقامة الحوار مع جذوره وتراثه؛ حوارا يأخذ في الحسبان تغير الزمن، يعيد النظر والدراسة في مبادئ تقليدية قديمة وفق متغيرات عصرية، هكذا تُعدّد وتحدد جاكين روس مجموعة من تلك المبادئ المتجددة التي شهدتها فلسفات عصرنا الأخلاقية.

حيث يعود الدين إلى واجهة المواضيع المتجددة ليحتل مكانته في الأخلاق النظرية المعاصرة، ويشكل هذا المبدأ بما يطرحه من موضوعات مركزية في التفكير ما وراء الأخلاق منطلقا في فلسفة ليفيناس على سبيل المثال، حين يقدم مقارنته الفينومينولوجية وفلسفته التي تقوم على تجربة الآخر من خلال الوجه الذي يرتسم فيه صوت الله والذي تنعقد إثره المسؤولية فور النظر إليه وفق التقليد التلمودي والتوراة، "الوجه يدل عما بعده، لكن لا كدليل ولا كرمز، بل بالضبط ومن دون إمكانية الإختزال، كوجه يستدعيني، إنه يدل مشيرا إلى الله لا كعلاقة لكن كمسألة لذاتي"⁽²³⁾، هذه العودة إلى المبدأ الديني الإلهي وإن لم تشكل أساس النظرية الأخلاقية إلا أنها امتداد لمبدأ لا يمكن مقاطعته كليا، حيث يظل الدين في دائرة النظرية الأخلاقية رغم كونه لا يشكل السلطة والأساس الأول فيها، يعيد ليفيناس النظر في مفهوم "الآخر" "قبل أي فعل" ما يعكس أولوية الأخلاق كفلسفة أولى عنده.

ظَلَّ مبدأ القوة التأكيدية يسجل حضوره في رهان الفكر المعاصر، مبدأ اسبينوزا الذي يحيل إلى الطاقة وقوة العمل والحركية المبدعة، "الكوناتوس" بوصفه المجهود الذي يبذله الفرد للحفاظ على بقاءه وتقوية وضعه في الحياة، حيث تحاول كل الأشياء بما فيها البشر الكفاح من أجل البقاء، بالرغبة والقوة والجهد، لا بالشفقة المخنثة التي لا تستحق إلا التوبيخ، بعاطفة الحب الفكري للرب الذي يعتبره أسمى خير إنساني، من هذا التأكيد على القوة ونبذ الضعف تظهر فلسفة اسبينوزا الأخلاقية على أنها ذات

مبادئ واقعية لا تصدر من أي جهة متعالية موجهة ضد الحياة، نجد شبه ذلك في فلسفة نيتشه حين يؤكد على أن الفضيلة الأخلاقية تخضع لإرادة القوة "صانعة الحياة"، فالقوة أكبر القيم التي يستطيع الإنسان تحصيلها في الحياة، بالقوة والسيطرة ندرك الوجود ونحقق السعادة، إنها ملكة مبدعة "إرادة القوة هي الاسم الحقيقي لإرادة الحياة، وكل إرادة قوة فهي تذهب إلى حدها الأقصى لأن الحياة لا تزدهر إلا بإخضاع ما حولها"⁽²⁴⁾.

يلقي هذا المبدأ المثقل بالقوة التأكيدية بظلاله على محاولات أخلاقية معاصرة عديدة، تتجلى على سبيل المثال لا الحصر في فلسفة كل من روبرت مزراحي وجيل دولوز، تنقلب تلك القوة التأكيدية إلى قوة فرح تحتل فيها الرغبة والفرح والسعادة بديلاً عن السيطرة والتشاؤم، تطرد إذن فلسفة المعطى هاته ما ينتقص من قيمة الرغبة باعتبارها "قوة حيوية إيجابية وكل فرحة تنبئ دائماً باتساع لقوتنا هي شيء جميل"⁽²⁵⁾، بعيداً عن ما لحقها من نقص في تعريفات فلسفة أفلاطون و فرويد (إذ يعتبر أفلاطون الرغبة تعبيراً عن نقص وفقدان في حين تحيل عند فرويد على البحث عن المتعة و اللذة التي تعكس الشهوة)، تمثل رغبة الفرع الأساس الأصلي للوجود والفكر، ندرك من خلالها ذاتنا الفاعلة بذاتنا بعيداً عن تفسيرات المتعالي والمقدس، حيث تعتبر الرغبة قوة مبدعة للقيم ما يشكل أساس الأخلاق والسلوك، يسفر هذا الانتقال من السعادة بوصفها صدفة إلى السعادة بكونها جهداً وحركية تحولاً يربط الفرع بقوة الجسد والحياة، تشكل مساعي دولوز و مزراحي هاته نموذجاً للأخلاق المعاصرة يطلق عليه جمعا بينهما "أخلاق المعطى"⁽²⁶⁾.

بيد أن مصطلحات من قبيل الفرع، الرغبة، المرح، تنطوي على طراء لا يعكس الواقع ولا يمكن من مجابهة قساوته؛ بما يحمله من بؤس ومعاناة للإنسان الذي يسعى دون جدوى لتبرير وجوده وفهم سبب إدراكه المحدود، إنَّ حاضر الإنسان العامر بالمرض والفقر والتشوه والجنون لهو تعبير صريح عن عبثية الواقع الذي بنى على إثره شوبنهاور فلسفته الساعية إلى إيجاد معنى لهذا العبث، ذلك هو مبدأ الواقع الصادر عن الألم والشر الذي ينبع من الوجود⁽²⁷⁾. يحث هذا المبدأ على وجوب توقع سوء الواقع وقسوته حتى في لحظة الفرع، فهي لا تعدو لحظة عابرة واهمة غير واعية بالمصير والوجه الآخر للواقع، ومنه فإن شوبنهاور سيد الواقعية الأعظم كما تلقبه روس يدعو إلى فهم هذا الواقع السيئ البائس، والبعد عن كل ما يخالف فكرنا من أوهام الفرع والأمل... الخ.⁽²⁸⁾

على هذا النهج يسير الفيلسوف الفرنسي "كليمنت روسه" متأثراً بشوبنهاور ونيتشة، مُؤمناً بأن الواقع قاسٍ ومؤلم ومأساوي في جوهره، ذلك أن الإنسان تخنقه فكرة الموت التي لا يستطيع تحملها كفكرة ولا اجتناب حدوثها، يشن روسه حرباً ضد الأوهام التي يخبئ الإنسان وراءها، يدعو لقبول الواقع كما هو دون تظليل ولا إجهاد لتغييره، وفق مجموعة مبادئ تعرف بـ "أخلاقيات القسوة"، يلخصها في مبدئين: مبدأ الواقع الكافي، هذا "المبدأ الذي يعني القدرة على قبول الواقع المدرك منظوراً إليه من حيث ذاته المؤلمة والمفجعة بطبعها على أنه عالم محروم من المعنى أو من الأساس"⁽²⁹⁾، ومبدأ عدم اليقين الذي يعني أن كل الحقيقة مشكوك فيها، تنهل إذن فلسفة روسه المعاصرة من مبدأ شوبنهاور القديم ما يؤكد سمة الأخلاق المعاصرة ذات التوجه الواقعي.

على هذا الهروب من الخيالي والعودة إلى الواقع تظهر الأخلاق المعاصرة متمسكة بمبدأ آخر قديم هيمن على المسألة الخلقية عن بكرتها؛ مبدأ المسؤولية، يظهر هذا المصطلح في كتاب الجمهورية لأفلاطون حيث يعني أن كل إنسان مسؤول عن اختياراته والآلهة لا دخل لها، فالبشر يصنعون أقدارهم وفق اختياراتهم وعلى هذا الأساس فهم مسؤولون، رافق المصطلح نقاشات عديدة تمحورت حولها ربطاً بينها وبين الحرية، في اللاهوت والفرضية المسيحية القائلة بإله خالق وعن مسؤولية الخالق باعتباره خالق كل شيء وعن انتفاء مسؤولية المخلوق، يتساءل القديس أوغسطين عن الخطايا التي تأتي من الأرواح المخلوقة، أليست من الله نفسه؟، ينبغي لتجنب الله من اتهامات أخطاء البشر هاته، الإقرار بحرية البشر في الاختيار، حيث يصارع الفرد كل الدوافع والأسباب التي قد تحيد بعمله إلى النحو الذي يظهر فيه مُقيداً، ينحو بنفسه فاعلاً منفرداً مسؤولاً إلى تغييرها بحيث لا مجال إلى تبرير لا تغييرها "فإذا لم يقبله فذلك يعني أنه يقبله"⁽³⁰⁾.

إنَّ لمسؤولية باعتبارها تحمل الفرد الفاعل الحر نتائج أفعاله، مبدأ يكتسح مذاهب الأخلاق القديمة والمعاصرة، على غرار الوجودية التي تنطلق من هذا المبدأ لإبراز قيمة وجود الفرد والنأي به إلى مراتب الوجود الكامل من خلال ما يتميز به من حرية، تبرع وتبرأ _ الوجودية _ من الرجوع إلى أي مصدر متعال، فالفعل مشّخص للإنسان وفق اختياراته الحرة، وعلى هذا الأساس تتحقق ذات الإنسان⁽³¹⁾.

ثمة تحول وتجدد عميق في نظرية المسؤولية هاته خصوصاً مع هانس يوناس وما طرحه في كتابه "مبدأ المسؤولية" إنها تطرد المتعالي وتراهن على الإرادة الحقيقية المسؤولة بناءً على حركية وسيرورة الزمان لا على الأبدية كما ساد مع الإغريق، تختلف مع مسؤولية الأخلاق النظرية في القرنين 18 و19، فهي لا

تخلو مع كانط من المتعال، ولا من الغائية المعروفة مع ماركس وهيجل رغم توافر شرط المحايثة والتزامن بينهما⁽³²⁾، إنَّ مبدأ المسؤولية مع هانس يونس يبحث في كيفية التصرف عند جهل النتائج المستقبلية للفعل، هذه النظرة إلى المستقبل البعيد والبعيد جدا ينبغي أن تنجم عن تنبؤ ما يهدد إنسان المستقبل، إنه إذن على أخلاق الغد أن تعلن انتماءها إلى مبدأي القدرة على التنبؤ والمسؤولية، يوجي هذا التنبؤ على مبدأ شاق جدا فهو يراهن على معرفة أنية لوقائع مستقبلية، قد يبدو على هذا النحو أنها ضربا من التنجيم أو مهاترات وتوقعات تخلو من المؤشرات اليقينية، لكن ومهما يكن فإننا نحتاج للحيلة بتسويد الصورة و تقييما وتنبؤ الأسوأ لتجاوزه⁽³³⁾، ما يعني أنه علينا نحن البشر، زرع فكرة الخوف من المستقبل ولو تربويا، أي خلق نوع من الاستنفار في حالاته القصوى إنذارا بالخطر المحدق بحضارة التقنية، ومنه فقد كانت أخلاق يونس أخلاق حماية ووقاية منشغلة بمصير الإنسانية، تغلب عليها التضحية لأجل الأجيال المستقبلية، تشبه الأخلاق الأبوية الأصيلة، حيث يتجاوز يونس الأخلاق التقليدية القائمة على الحاضر ذات الاهتمام بالعلاقات بين الناس فحسب؛ إلى أخلاق معاصرة تنبني على الاهتمام بالمستقبل والطبيعة وفق تحويل عميق وتقويم شامل لمبدأ المسؤولية القديم ذلك هو عين روح الثقافة ما بعد الأخلاقية.

عديد المبادئ لا يمكن إغفالها إذا ما كان الحديث عن صياغة فكر أخلاقي جديد، على غرار الحرية والمساواة، الثقافة الجمالية الذاتية والتحديد الذاتي واحترام الحياة، فلم تعد الحرية بذلك المعنى الميتافيزيقي المعاكس لمفهوم الحتمية بعد المطارحات التي فرضتها التطورات السياسية وأنظمة الحكم والتسيير، فمبدأ الحرية مُدمَجاً مع مبدأ المساواة يشكل لب الفلسفة السياسية الآنية خصوصا مع "جون رولز" وما قدّمه من إعادة صياغة لمبدأ العدالة بوصفها إنصافا، مستكملا مساعي اسبينوزا التي تظهر في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة"، حيث يبين أن السلام الداخلي للدولة مشروطا بحرية رأي المواطنين وأنه "على السلطات العامة ألا تتدخل في الحريات الفردية وإلا تعرض أمن الدولة للخطر، فهذا هو "الحق الطبيعي" للفرد، كل فرد حر بطبيعته"⁽³⁴⁾، إذ يعتبر أيضا أن غاية تأسيس الدولة هي تحرير الفرد من الخوف وجعله آمنا، وما العدالة إلا تساوي الجميع في هذا الحق.

لم تحد مساعي فلاسفة العقد الاجتماعي عن مبدأ الحرية، رغم اعتبار العقد ميثاق شراكة يتخلّى فيه المشاركون عن جزء من حريتهم الأصلية لكسب حرية سياسية وحقيقية ترتبط بالقانون بغية تحقيق منفعة الأفراد الذين يشملهم العقد، فلم تعد الحرية مع جون جاك روسو تحمل نفس المعنى الطبيعي،

ذلك أنَّ المجتمع وما يحمله من القوانين التي تمنعه من ممارسة حرّيته الطبيعية فَرَضَ تحولاً من الحرية الطبيعية إلى المدنية، هذا الميثاق التشاركي الذي يحقق العدالة بجعل الجميع متساوين.

يُعاد إذن في الفكر المعاصر صياغة هذا المبدأ بديلاً عن النفعية وعن أزمة فراغ الماركسية اللينينية، ما حمل رولز على إعادة التفكير في المبادئ التي تنظم العمل السياسي، وفق ما يسميه عدالة الإنصاف التي تستند حسبه إلى مبدئين: المساواة في تحديد الحقوق والواجبات، و مراعاة أنواع التفاوت الاجتماعي والاقتصادي وقبولها وفق ما يحقق مصلحة الأضعف اجتماعياً والأفقر اقتصادياً والأقلين حظاً، أحدثت نظرية العدالة عند رولز التي تعيد إحياء نظرية العقد الاجتماعي ومزجها بالطابع العقلاني عند كانط إنعطافاً في مسار الفلسفة الخلقية، وعليه ساد الاتفاق بين منظري الفلسفة بأن رولز هو آخر من قدم نظرية فلسفية شاملة تجمع بين السياسة والأخلاق⁽³⁵⁾.

حظي الجسد البشري بالقداسة في كثير من الفلسفات والديانات قديماً، وحظي أيضاً حديثاً بالاحترام والدعوة لحفظ كرامته مع كانط، واعتبار الإنسان غاية في ذاته تخضع نظم الحياة له، وعلى هذا الهدف تنطلق الأخلاق النظرية المعاصرة بغية مراقبة ما يطرحه تقدم الطب و البيولوجيا والتقنيات التي أسفرت عن مساس كبير بجسم الإنسان وكرامته وحياته أجمع، من مبدئي التحديد الذاتي واحترام الحياة، ذلك أن الجسد والحياة موضوعاً علم الحياة والطب على السواء، يظهر الأول كمبدأ أساس للأخلاق النظرية؛ فالاستقلال الذاتي وتقرير المصير وعدم التبعية في صناعة القرار إنما هي حقوق فردية تحفظها البيوأيتيقا بوصفها احتكام جماعي وقرار مشترك تصدره لجان الأخلاق النظرية، حيث يعرف غي ديوران الأخلاق النظرية على أنها "البحث عن جملة المطالب لاحترام الحياة الإنسانية والشخص وتقديمها في القطاع الحيوي الطبي"⁽³⁶⁾ ومن خلال هذا التعريف تتجلى مكانة هذين المبدئين في دائرة الأخلاق النظرية المعاصرة.

بعد استكشاف أهم المبادئ القديمة التي قام الفكر الأخلاقي المعاصر على تحويلها، مما لا يدعو مجالاً للشك أن هذا الفكر يقيم صروح التواصل مع ماضيه وتراثه الفكري ليس عجزاً على الابتكار بقدر ما هو حفاظ على مكتسبات الذاكرة التقليدية السابقة التي لا يمكن تبرير إغفالها، ولئن وُظفت هاته المبادئ في الفلسفات المعاصرة فإن هذا التوظيف لا يتعدى صفة الطرافة (النادر، المستحسن) نظراً لحجم التغيرات الجذرية المحدثة عليها.

3.4 النشاط التواصلي؛ مبدأ أصيل:

رغم هذه المؤثرات إلا أنَّ الفكر الأخلاقي المعاصر شهد مبدأً جديداً مع الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس ممثل الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت، مبدأ التواصلي الذي يستمد أسسه من فلسفة اللغة عند كل من فتنجنشتين من خلال ألعاب اللغة وما تتسم به اللغة عنده من بوتقة عقلانية و من أوستن الذي تتحول اللغة معه إلى دراسة أفعال تمتد لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحوارية⁽³⁷⁾، فاللغة إذ تعد الوسيط الذي يتم التواصل من خلاله لبلوغ نوع من التفاهم بين المشاركين في التجربة التواصلية مما ينتج فهما مشتركاً، يقدم بلا شك نموذجاً للتخلق قوامه الحوار القائم على الاحترام المتبادل ونبذ العنف؛ ذلك أن غاية الفهم المتبادل مغروسة في الاتصال اللغوي أي أنَّ غاية هذا النشاط التواصلي هو التوجه نحو التفاهم بين الذات، وهو نوع من المعرفة التعبيرية اللغوية، إنَّ هابرماس بالتزامه الصارم من أجل العقل كقضية مركزية في فلسفته ومَعْلَم أساس في نظريته للتاريخ ثم اهتمامه بقراءة الراهن بحثاً عن مبادئ وقيم كونية، يقدم مشروعاً يفترض في الواقع منعطفاً، تغيير طراز، انتقالاً وتحولاً من فلسفة الشعور إلى نظرية مركزة على اللغة والعلامات اللسانية باعتبارها مفتاح الأخلاق، ذلك التعميم الكلي للخطاب الذي يتيح بلوغ مجال الأخلاق النظرية وفق عقلانية تواصلية .

تتفرع الفاعلية العقلية لدى هبرماس إلى نمطين، يصبو النمط الأول شطر النجاح والسيطرة على أطراف النقاش الآخرين بمختلف السبل، بينما يهدف الثاني إلى التفاهم المتبادل، والحوار سعياً لقبول الشركاء الآخرين، كلا النمطين يهدفان إلى النجاح لكن نجاح الأول شخصي قد يُستخدم فيه غير ما يُستخدم في الثاني الذي يراهن على التراضي ونبذ العنف والتعنيف بالخطاب البرهاني الذي يَعْتَبِر الآخر شخص يجب معاملته كشخص لا كشيء، من هذا الاعتراف والتفاهم المتبادل في الفاعلية الاتصالية تعثر الأخلاق النظرية على مبدئها⁽³⁸⁾.

5. خاتمة:

سعت جاكسين روس الى تقديم مقارنة تحليلية للخطاب الأخلاقي المعاصر، الذي تعالت فيه مواقف الإشادة بالمعرفة العلمية على حساب المعرفة الفلسفية، فهيمنت التقنية على الإنسان حتى أصبح عبداً مطيعاً لها؛ وتوجه نحو الفردانية النرجسية المتّعّية الضائعة في متاهات الفراغ الأخلاقي النظري وزوال مختلف المرجعيات والإيديولوجيات والمثاليات التي دأب الإنسان على التصرف وفقها، تحولات اجتماعية ومعرفية وتقنية عميقة أحدثتها الحداثة الزائدة ولا سبيل لمغالبتها إلا بتوجه أخلاقي يستهدف إعادة مكانة

الذات الفاعلة المتفاعلة مع مختلف الظروف، وفق نظريات في الأخلاق تهمل من سابقتها وتجديدها حتى تلائم عصرنا الراهن؛ أخلاق معاصرة جديدة ذات دلالة مزدوجة تتأسس على فكريتي المسؤولية والتواصل ذلك أنهما يفتحان الطريق نحو التحولات الأخلاقية ويسمحان بالطموح الى كونية واضحة، أخلاق تأتي بإجابات لأسئلة الراهن وترسم الطريق الى المستقبل للذين تملّكهم اليأس والضياع.

6. قائمة المراجع:

- * جاكلين روس « Jacqueline Russ » وتكتب أيضا جاكلين روز، فيلسوفة فرنسية معاصرة، ولدت في 30 نوفمبر 1934 وتوفيت في 07 سبتمبر 1999، حاصلة على التبريز في الفلسفة، مديرة سلسلة في دار نشر آرمان كولين الفرنسية، محبة بالفكر الأخلاقي وتعليمية الفلسفة، مجددة للفكر الأخلاقي الكلاسيكي، لها العديد من المؤلفات منها كتاب الفكر الأخلاقي المعاصر، وكتاب مغامرة الفكر الأوروبي، كتاب بانوراما الأفكار الفلسفية، كتاب المناهج الفلسفية... الخ، يستوجب التمييز بينها وبين جاكلين روز البريطانية ذات التوجه الأدبي المولودة سنة 1949
- (1) جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، دار عويدات للطباعة و النشر، بيروت 2001، ص 11.
- (2) أحمد عبد الحليم عطية، إتيقا الراهن الاتجاهات الأخلاقية المعاصرة، القاهرة، 2017، ص 11.
- (3) جاكلين روس، المصدر السابق، ص 10.
- (4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (5) المصدر نفسه، ص 12.
- (6) إدغار موران، أخلاقية التعقيد ومشكلة القيم في القرن الحادي والعشرين، كتاب جماعي، القيم الى أين؟، إشراف جيروم بندي، ترجمة زهيدة درويش جبور وجان جبور، ط 1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) واليونيسكو، قرطاج، 2005، ص 103.
- (7) زروخي الدراجي؛ سيني فيروز، موقف جاكلين روس من أخلاق القوة عند نيتشه، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 2، العدد 10، جوان 2019، ص 29.
- (8) جاكلين روس، مغامرة الفكر الأوروبي، ترجمة أمل ديو، ط 1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2011، ص 350.
- (9) جاكلين روس، بانوراما الأفكار الفلسفية من أفلاطون الى الفلاسفة المعاصرين، تقديم فرانسوا دوس، ترجمة سونيا محمود نجا، المركز القومي للترجمة، ط 1، القاهرة، 2019، ص 291.
- (10) بشير خليفة، نقد الحداثة والتقنية في فكر ليونار، كتاب جماعي، الفلسفة الفرنسية جدل التوقع والتوسع، إشراف وتحرير سمير بلكليف، ط 1، منشورات الضفاف، لبنان، 2015، ص 276.
- (11) جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المصدر السابق، ص 16.
- (12) عابد نورة، الفردانية أفق إنساني، مجلة تطوير، جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، مخبر تطوير للبحث في العلوم الإجتماعية والإنسانية، المجلد 05، العدد 01، ماي 2018، ص 01.
- (13) جيل ليوفتسكي، عصر الفراغ (الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة)، ترجمة حافظ إدوخراز، ط 1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2017، ص 29-30.
- (14) حاتم حميد محسن: "لماذا هاجم هيدجر التقنية"، الأول من أيلول 2018، شبكة النبأ المعلوماتية، الرابط: <https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/16406>
- (15) فريدريك نيتشه، إنسان مفرط في إنسانيته، ترجمة الناجي محمد، ط 1، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001، ص 220.

- (16) إبراهيم مجيدية، أنثروبولوجيا الإنسان الفاعل (الكائن البشري من منظور فلسفة الفعل)، 28 جويلية 2021، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرابط : <https://shortest.link/NKf>
- (17) جاكولين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المصدر السابق، ص 29.
- (18) كامر زروقي، الحرية والوجود الإنساني في فلسفة سارتر، كتاب جاعلي، الفلسفة الفرنسية جدل التوقع والتوسع، إشراف وتحرير سمير بلكنيف، ط1، منشورات الضفاف، لبنان، 2015، ص 129-130.
- (19) جاكولين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المصدر السابق، ص 30.
- (20) أشاكر مخلوف، الفكر الأخلاقي الفرنسي لما بعد حداثي (ميشيل فوكو نموذجاً)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة وهران، 2016/2015 م، ص 49.
- (21) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (22) جاكولين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المصدر السابق، ص 32.
- (23) جون ليشته، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً، من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة فائق البستاني، مراجعة محمد بدوي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص 247.
- (24) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2008، ص 435.
- (25) فيليب فان دان بوش، السعادة في الفلسفة، كتاب جاعلي، فلسفات عصرنا (تياراتها، مذاهبها، أعلامها وقضاياها)، إشراف جان فرانسوا دورتي، ترجمة إبراهيم صحراوي، ط1، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، 2009، ص 420.
- (26) جاكولين روس، فلسفة الأخلاق المعاصرة، كتاب جاعلي، فلسفات عصرنا (تياراتها، مذاهبها، أعلامها وقضاياها)، إشراف جان فرانسوا دورتي، ترجمة إبراهيم صحراوي، ط1، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، 2009، ص 266.
- (27) وفاء عبد الحليم محمود، الحياة والعبث والمفارقة (ثلاثية فلسفية لشوبنهاور والموقف النقدي منها)، سلسلة أبحاث المؤتمر السنوي الدولي 5(10)، ص 781-782.
- (28) جاكولين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المصدر السابق، ص 37-38.
- (29) المصدر نفسه، ص 38.
- (30) مارك نيبورغ، عن المسؤولية، كتاب جاعلي، فلسفات عصرنا، إشراف جان فرانسوا دورتي، ترجمة إبراهيم صحراوي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، ص 462.
- (31) عايدة عبد الحميد عبد الرحمن الفقي، الوجودية عند سارتر، حويلات كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية 35(3)، 2009، ص 22.
- (32) جاكولين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المصدر السابق، ص 40-41.
- (33) جان بول رزفبر، فلسفة القيم، ترجمة عادل العوا، ط1، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2008، ص 09.
- (34) باروخ اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص 16-17.
- (35) أحمد عبد الحلية عطية، المرجع السابق، ص 76.
- (36) جاكولين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، المصدر السابق، ص 111.
- (37) أودينة سليم، فلسفة التداويات الصورية وأخلاقيات النقاش عند بورغن هارماس، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة غير منشورة، قسم الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة 2، 2008/2009، ص 16.
- (38) جاكولين روس الفكر: الأخلاقي المعاصر، المصدر السابق، ص 76.